جامع دير القديسة

كاترين بطور سينا

للمستر رايينو

لنحل بريطانيا العظمى العام بالقاهرة

نشر جناب المستر رايينو نحل بريطانيا العظمى العام بالقاهرة في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٣٥ بعنوان « دير القديسة كاترين بطور سينا » ذكريات الحجاج الفرنجي المدونة » خلاصة لجولاته أثناء الرحلتين اللتين قام بهما الى الدير الاولى في مارس والثانية في ابريل سنة ١٩٣٤ ثم قام اخيراً برحلة ثالثة الى تلك البقاع ويسرح لنا ان ننشر ترجمة لفصل الذي عقده عن جامع دير القديسة كاترين في كتابه الذي يعنى بتأليفه الآن

ان حاج العصور الوسطى مثله كمثل السائح في ايامنا هذه . كان عند اقترابه من الدير تأخذه الدهشة اذ يرى مأذنة قائمة وسط منطقة الدير وملاصقة لكنيسة التجلي وقد اشار اليها الراهب جاك الفيروني الذي زار طور سينا سنة ١٣٣٥ في كتابه الذي نشر في مجلة الشرق اللاتيني سنة ١٨٩٥ حيث يقول ان الجامع قائم ببرجه (مأذنته) وهناك يمارس رجال الدين العرب شعائرهم الدينية وما كان في مكنة الرهبان أن يعترضوا البتة اذ كانوا خاضعين للسلطان الذي كان راضياً عن ذلك . كما اشار اليه الحجاج الايطاليون الذين سافروا من القاهرة الى طور سينا سنة ١٣٨٤ اشارة ممزوجة بروح التعصب الذي كان رمزاً على ذلك العصر

بني جامع الدير كغيره من الابنية الدينية — كما يؤخذ من الكتابة المدونة على كرسي سنتحدث عنهُ فيما بعد — بين سنتي ١١٠١ و١١٠٦م (٤٩٥ — ٥٠٠ هـ) بأمر ابي علي المنصور انوشتكين وزير الخليفة الآمر ١١٠١ — ١١٣٠م (٤٩٥ — ٥٦٤ هـ) ولا ريب انهُ عزَّ عليهِ ان يرى البدو العرب الذين كانوا يسكنون شبه جزيرة سينا وكانت كثرتهم تدين بالطاعة للدير من دون محل لائق بالعبادة ، فشيد الجامع الذي بالدير كما بنى جامعين في وادي فاران وثلاثة مساجد اخرى فوق جبل موسى الذي كان يطلق عليهِ وقتئذٍ مكان مناجاة موسى عليهِ السلام

وكان الجامع في نظر الحاج الروسي باسيل بوسنيا كوف كنيسة قديمة اقيمت للقديس باسيل القيصري مؤسس طائفة الرهبان اليونان غير ان الكتابة المدونة على الكرسي الذي ذكرناه لا تحتمل الشك فهي تحدثنا (مما امر بعمل ..... الجامع المبارك الذي بالدير الاعلا) غير انهُ

لا يمكن الاستدلال من هذه العبارة على ان أحد المقصورة أقام المسجد من عنده وانما وجود سطح المذبح البيزنطي مثبتاً في حائط المحراب يؤيد قوله ان الجامع كان كنيسة قديمة

الى المقدمة الذي تم بين الرهبان وبين النبي والذي لم يشك في صحته المؤرخون العرب والمذكور من جهة أخرى في كثير من الوثائق المحررة في عهد السلطان محمد الثاني سلطان تركيا سنة ١٤٥٧ م والسلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ والسلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٨ والسلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٤ ، فضلاً عن الفرمانات الكثيرة الصادرة من سلاطين مصر وتركيا التي وصفت الدير بكنائه وممتلكاته تحت الحماية الخاصة ، تشهد دليلاً على حسن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطات الاسلامية وبين الرهبان وان لم تكن تلك الحماية كافية بوضع حد لغارات البدو التي كانوا يشنونها على الدير انتهازاً لفرص الشدة وابتغاء نهب ممتلكات الرهبان . الا انهُ لا شك أن الرهبان نزلوا مرغمين على ارادة السلطان التي قضت ببناء منارة تطل على كنيستهم المشهورة

يقوم الجامع على بعد سبعة أمتار تقريباً من الحائط الشمالي الغربي من سور الدير ولا تزيد أطول مسافة بين واجهة كنيسة التجلي المذكورة وبينه عن ستة أمتار وهو قائم على مخازن باقية تقوم مقام الدور الارضي من البناء الذي هو أبسط الأبنية هندسة وليست لهُ أي شأن معماري وهو مستطيل الشكل عرضهُ عشرة أمتار وطوله سبعة أمتار والباب الموصل اليه يهبط إلى أرضه بثلاث درجات تجاه المحراب . وفي منتصف الطريق بين الباب وحائط المحراب دعامتان من البناء احداهما على يمين الداخل والأخرى على يساره في شكل صليب يحملان عقداً في كل اتجاه مستقراً على أكتاف الحيطان الجانبية . وارتفاع العقد من الارض ٧٨ر٣ م

ويعلو كل عقد حائط من البناء تتوسطه نافذة مربعة واسعة ويستقر السقف فوق هذا كله وهو سقف لا شأن لهُ وخلو من أية زخرفة . وللجامع تسع نوافذ خارجية منها ست مسدودة أما المحراب فارتفاعه متر تقريباً تكسوهُ في منتصفه نوحة من المرمر نزعت من مذبح بيزنطي وعلى جانبيها فسيفساء من الرخام لا قيمة لها . أما المأذنة فهي قائمة خارج المسجد على بعد مترين من النهاية الشرقية لحائط البناء الجنوبي الشرقي وهي برج مربع يبلغ ضلعه ٥٠ر٣ × ٣ م وارتفاعه سبعة أمتار تقريباً وينتهي بقبة صغيرة لها شرفة خشبية على بعد مترين من قمة القبة

وبالمسجد محفظتان منبره وكرسيه المؤرخان ٥٠٠ هـ فأما المنبر فهو أحد ثلاثة لم يصل الينا غيرها

---

(١) هذه الوثيقة كانت محفوظة بذلك الدير وهي مؤرخة في ٣ محرم سنة ٢٠ هـ وعليها بصمة يد النبي (صلعم) والموقع عليها بعد ذلك من أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ثم من ستة عشر صحابياً وقيل ان سليم الاول سلطان الدولة العثمانية نقلها من الدير واحتفظ بها في دار المحفوظات باستامبول غير ان هناك صورة رسمية محفوظة بالدير المذكور وصورة اخرى بمصر الظاهر بالقاهرة وعلى كل حال فكثير من المؤرخين الاوربيين يشكون في وجود الاصل وصحة الصور . اما نصها فقد نشره كاملا نعوم شقير بك في كتابه «تاريخ سينا» الذي نشر بالقاهرة سنة ١٩١٦ كما نشر ترجمته كثير من المؤرخين الاوربيين في القرنين الاخيرين

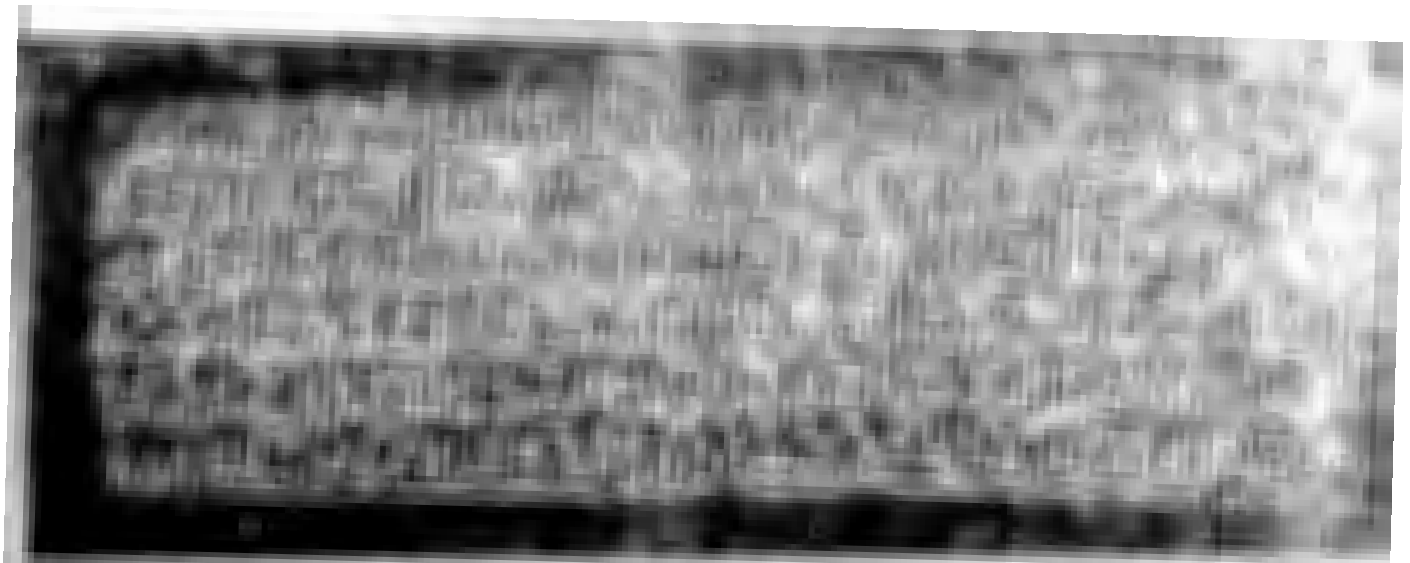

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير نصر من الله
[illegible] عبد الله وليه ابن علي المنصور الامام الآمر بأحكام الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه المنتصرين
امر بانشاء هذا المنزل السعيد الاجل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ابو القاسم
افضل عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته وذلك في شهر ربيع الاول سنة خمس مئة اثق بالله

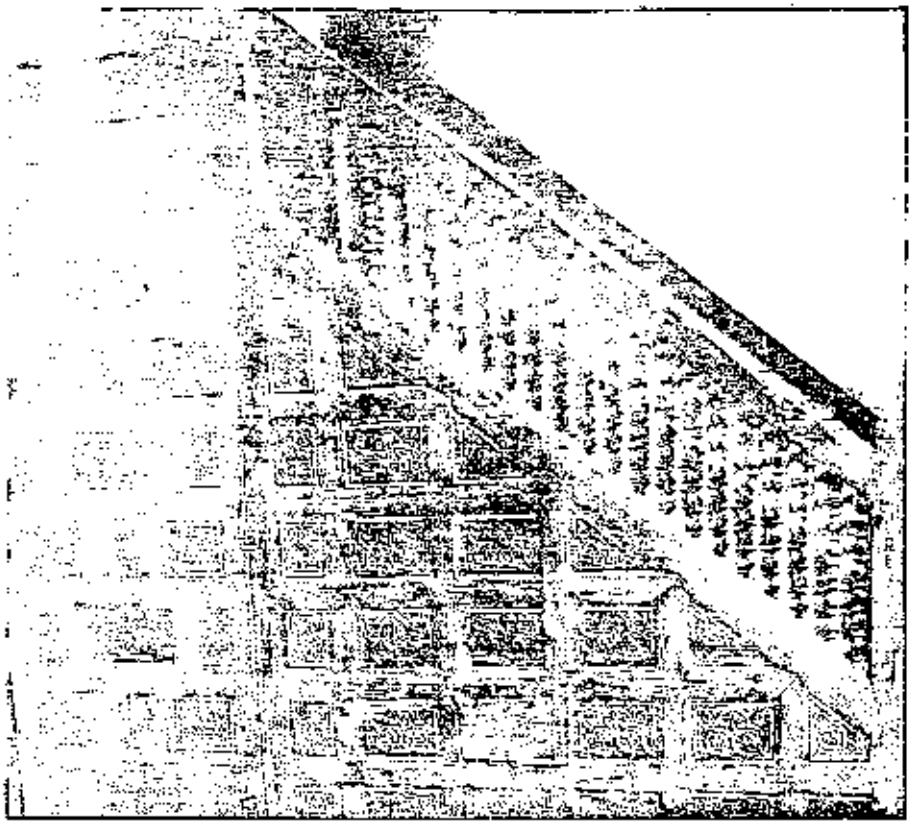

منبر المسجد وهو تحفة نادرة من العصر الفاطمي

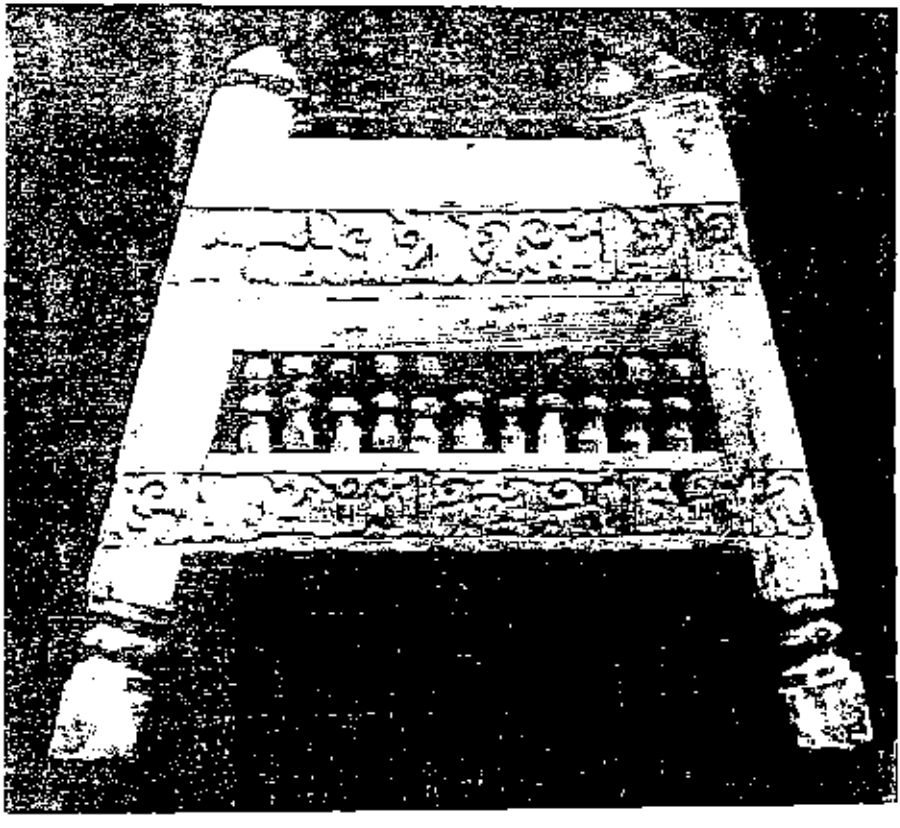

كرسي المسجد وهو تحفة فنية نادرة من العصر الفاطمي

من العصر الفاطمي . والمنبر الثاني للفرنوس بالصعيد والثالث مخبأ في فلسطين . وقد أشار اليه كثير من زوار الدير مطولين وأتبعه وصفاً له بقلم الاستاذ راشد الامين الاول بدار الآثار العربية الذي كان رفيقي في احدى رحلاتي

« طول المنبر ٤٧ و ٣ م (٧٨ و . م + ٦٩ و . م) وارتفاعه من الخلف ٤٠ و ٢ م ومن الواجهة ٦٢ و ٢ م أما العرض من الخلف ٩٣ و . م . أما حشوات جانبي المنبر فلا تزال معظمها محفوظة في مكانها وخلاة بزخارف نباتية مكونة من أوراق وفروع محفورة حفراً روعي فيه التناسب وكذلك في المنبر من الداخل حيث مجلس الخطيب — في الظهر وعلى الجانبين — حشوات من الخشب أكبر حجماً وزخرفها مماثلة ، وان أسلوب زخرفة الحشوات كلها متفق مع الفن المعاصر لتاريخ المنبر » . أما اللوحة التاريخية التي فوق باب المنبر فقد تدلنا على أن المنبر أنشيء بأمر أبي القاسم شاهنشاه الأفضل ابن بدر الجمالي وكان وزيراً للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة ٥٠٠ هجرية والخط بالقلم الكوفي والنص ستة أسطر بارزة على حشوة من الخشب ٥ر٧٥ و . م × ٢٤ و . م واليك النص : —

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له — له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير — نصر من الله وفتح قريب — لعبد الله ووليه ابي علي منصور الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتصرين أمر بانشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاء المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ابو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الاول سنة خمس مئة اتقوا الله »

اما الكرسي الخشبي المخصص لانارة الشمع فهو من العصر ذاته وأمر بصنعه اتوشكين وزير الخليفة الفاطمي الآمر باحكام الله واليك أبعاده : الارتفاع (ما عدا ارجل الكرسي ومقابضه الملوية الكروية) ٤٦ و . م والعرض من الجانب العلوي ٢٤ و . م ومن الجانب الادنى ٤٨ و . م وعليه كتابة تحيط به في اعلاه وفي ادناه اليك نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم مما امر بعمل هذا الشمع والكراسي المباركة والجامع المبارك الذي بالدير الاعلا والثلاث مساجد التي فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذي فوق جبل دير فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحصن الساحل الامير الموفق المنتخب مشير الدولة وقارسها ابي المنصور اتوشكين الاميري »

وكان مكتوباً بالحبر على اللوحة المرمرية المثبتة في المحراب السابق ذكرها بحسب ما رأى لوم شتير بك اثناء رحلته سنة ١٩١٦ « بعض أسماء الزوار المسلمين ومنهم (مفتاح عبد الله في ٢٨ رمضان ٩٢٥هـ اي ٢٥ سبتمبر ١٥١٩) سليم بن محمد الخطيب ومعه جماعة من عساكر الباشبوزق

في ٨ رجب سنة ٣٠ ه الى ٤ سبتمبر ٦١٣ م لعدد الشهداء كثيرين غير ثمن الزائرين مكتوبة بالفلز الرصاص. قال الاب ميسترمان الذي كتب عام ١٩٠٩ عن رحلة قام بها في تلك البقاع . . .

« عمر العرب الجامع منذ سنين طويلة واحتفظ المسجد بكرسيه ومنبره وان لم يحتفظ بالغرض الذي شيد من اجله بل صار مخزناً للحبوب والفواكه . اما المأذنة ففي حالة يرثى لها »

ولم يذكر لنا نعوم شقير بحثاً عن المسجد شيئاً عام ١٩٠٩ اذا استثنينا ما يأتي : — « ويلقب خادم الجامع (بالخوجة) وله جراية من الدير يومية واسبوعية . اما اليومية فعشرة ارغفة وطعام الظهر والمساء مما يأكله الرهبان . واذا صام الرهبان اخذ بدل طعامه قدحاً من القمح . اما جرايته الاسبوعية فانه يتناولها عند انتهاء الاسبوع قبل الانصراف وهي خمسة اقداح مصرية من القمح ونصف قدح من العدس وثلاثة ارغفة واقة ملح . هذا وفي الوقت نفسه يأخذ جراية عائلة وهي في كل يومين ثلاثة ارغفة للمرأة واربعة ارغفة للبالغ من اولاده وثلاثة ارغفة لغير البالغ منهم . ومعدل وزن رغيف الدير ٣٥ درهماً »

ولا يزال هذا النظام قائماً غير ان الجراية في شهر رمضان اليومية والاسبوعية ضعف ما يصرف في الايام العادية مضافاً اليها زجاجة من الزيت في الاسبوع لايقاد مصابيح الجامع . اما وظيفة الخادم فهي وراثية في « رازانة اولاد سعيد » وهم عشرة او خمسة عشر شخصاً يتناوبون العمل بينهم فيتسلم كلٌّ نوبته يوم الجمعة بعد غروب الشمس

وكان المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول معززاً زيارة طورسينا منذ عشر سنين تقريباً فأهدى الى الجامع حصراً وسجاداً وزوّد المنبر بأعلام ثمينة من المخمل الاخضر المزركش بالذهب مكتوباً عليها آيات من القرآن واسم مهديها والاعلام لكي ترفع على جانبي المنبر من اجل صلاة الجمعة . وفي المسجد فضلاً عن ذلك ستائر من نفس النوع مخصصة لمقابر الاولياء في البقاع المجاورة غير انها لم ترسل الى الجهات المخصصة لها . وقد رش المسجد بالحبر ودهن سقفه استعداداً لزيارة جلالته . غير ان المسجد فقير جداً فلا وقف ولا ريع مخصص لصيانته واقامة الشعائر فيه ولعلّ يوماً تفكر فيه نفس ورعة فتوجه عنايتها الى ذلك المسجد الثالث وسط جبال طورسينا . ويظهر ان خدمة الدير المسلمين لا يقيمون الصلاة في المسجد غير ان مفتاحه تحت طلب اي زائر او مقيم يود ان يؤدي فيه الفريضة

وقد احتفظ الاب امين الصندوق لديه بالكرسي وبلوحة المنبر التاريخية الثمينة مخافة عبث الذين لا يراعون الاّ ولا ذمة . واذا استطعت اليوم ان اعرض على القارىء صورة للمسجد بالالوان الطبيعية فالفضل راجع الى حضرة احمد افندي يوسف الموظف بمصلحة صب القوالب بالمتحف المصري فقد رافقني في رحلاتي الاخيرة الى جبال طورسينا وقمت انا شخصيًّا برسم مسقط الجامع اما الصور الفوتوغرافية فهي من تصوير مسيو تانو الذي كان رفيقي في رحلة ابريل سنة ١٩٣٤